مصر
فى عصر الإخشيديين

للدكتورة سيدة إسماعيل كاشف

(طبع بمطبعة جامعة فؤاد الأول بالقاهرة عام ١٩٥٠ ، وهو يقع فى ٤١٨ صفحة ويشتمل على أربعة رسوم وست عشرة لوحة وخريطتين)

منذ أكثر من ثمانية عشر عاماً صدر مؤلفان[١] هامان تناولا فى إسهاب عصرين من العصور الأولى فى تاريخ مصر الوسيط هما عصر الطولونيين وعصر الفاطميين ، إلا أن الفترة القصيرة الواقعة بين الأسرتين أى من سنة ٣٢٣ إلى سنة ٣٥٨ هـ (٩٣٥ — ٩٦٩ م) لم تستهو أحداً من المؤرخين ليتعمقها ويفرغ لها . حقاً لقد أدرج فرديناند فستنفلد هذه الحقبة فى كتابه « حكام مصر فى عهد الخلفاء » الذى أصدره سنة ١٨٧٥ ، وعالجها كورت تلكفيست من حيث ارتباطها ببحثه الذى نشره عام ١٨٩٩ عن كتاب المغرب لابن سعيد المغربى ، غير أن أحداً لم يفرد لتاريخ الإخشيديين كتاباً خاصاً شبيهاً بالكتابين اللذين سبقت الإشارة إليهما ، حتى ظهر مؤلف الدكتورة سيدة إسماعيل كاشف فملأ هذه الثغرة فى تاريخ مصر الوسيط . ولم تأل الدكتورة جهداً فى جمع كل ما تيسر من مادة تاريخية بما فى ذلك المخطوطات وأوراق البردى والنقود ، ولم تكتف بمعالجة هذه الذخيرة من الناحية التاريخية بل ضمنت بحثها وصفاً دقيقاً للشئون الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والآثار والصناعات وما بلغه هذا العهد القصير نسبياً من رقى فى العلوم والفنون والآداب .

ويقع هذا الكتاب فى أحد عشر فصلا تسبقها مقدمة موجزة (من ص ١ إلى ص ١٠) عن مراجع الكتاب يتلوها تقديم يقع فى أربع صفحات .

---

(١) « الفاطميون فى مصر » للأستاذ الدكتور حسن إبراهيم حسن طبعة القاهرة سنة ١٩٣٢ « الطولونيون » للأستاذ الدكتور زكى محمد حسن ، باريس ١٩٣٣ .

ويتناول الفصل الأول الفترة السابقة لعصر الإخشيديين ، ويدور الفصلان الثانى والثالث عن تاريخهم السياسى ، وفى الفصل الرابع حديث عن مؤسس الأسرة وخلفائه ورجال حاشيته ، أما الفصل الخامس فقد خصص لشئون الإدارة ورجالها ، كما خصص الفصل السادس لرجال القضاء ، ويعالج الفصل السابع شئون طبقات المجتمع المختلفة ومنها رجال الجيش والأسطول ، ويتطرق إلى بحث أساليبهم فى الحياة وعاداتهم وأعيادهم واشتغالهم بالصيد والزراعة والتجارة والحرف والصناعات ، ويتحدث الفصل الثامن عن آثار ذلك العصر وفنونه ، ويلم الفصل التاسع بأحوال رجال الشريعة والأدب والعلم ، ويصف الفصل العاشر السياسة الداخلية ، ويوضح الفصل الحادى عشر العلاقات الخارجية والغزو الفاطمى ، وأخيراً تأتى خاتمة الكتاب ، يعقبها فى النهاية بيان شامل للمراجع العربية والأوربية وفهرس للرسوم واللوحات وفهرس للأعلام .

ولم يهمل الكتاب مرجعاً من المراجع التاريخية ، بل هو يكاد لا يبقى على زيادة لمستزيد ، على أنه يصح أن نضيف إلى الصفحة السابقة مؤلفين يتناولان أيضاً عصر الإخشيد : الأول لأبى الحسن على بن أبى المنصور الحلبى الذى توفى عام ٦٢٣ هجرية ، وهو كتاب يعالج تاريخ الطولونيين والإخشيديين والمخطوط محفوظ فى مكتبة جوتا (مخطوط رقم ١٥٥٥) ، والثانى كتاب إبراهيم ابن وصيف شاه الذى وضع تاريخاً لمصر حتى عام ٦٨٨ هـ فاشتمل على وصف عصر الإخشيد ، واسمه « كتاب جواهر البحور ووقائع الأمور وعجائب الدهور وأخبار الديار المصرية » وهو محفوظ فى المكتبة السالفة الذكر (مخطوط رقم ١٦٤٤) .

كذلك يمكن أن نضيف إلى صيغة « طغج » الواردة فى صفحة ٥٧ سطر ١٤ وحاشية رقم ٣ وهى الصيغة الرسمية لاسم مؤسس البيت الإخشيدى المتوارد فى المصادر الأدبية وفى بعض الوثائق (كأوراق البردى الخاصة بالأرشيدوق راينر — وثيقة عربية رقم ٧٨١٦) يمكن أن نضيف صيغة أخرى هى «طقج» نجدها فى بعض الوثائق البردية مثل دليل معرض أوراق البردى الخاصة بالأرشيدوق راينر رقم ٩٢٧ والوثيقة البردية رقم ٩٥٣ . وكذلك تستعمل كلمتا طغجى وطقجى فى النسبة ، ومثال ذلك ما نقرأه فى المخطوط العربى رقم ٦٦٥ المحفوظ بدار الكتب الأهلية بفينا (ارجع إلى يوهان فون كاراباتشيك . وفى

بيانات مستخرجة من مجموعة أوراق البردى الخاصة بالأرشيدوق راينر ١٨٨٧ الجزء الأول صفحة ٦٣ و ٦٤ حاشية رقم ١) .

وفى صفحة ٦٩ يمكن أن يضاف إلى محمد بن طغج « مولى أمير المؤمنين » كما ورد فى برديات الأرشيدوق (انظر رقم ٧٦١٨ فى بيان هذه البرديات) .

ويمكننا أن نضيف إلى ما جاء فى صفحة ٩٠ عن مراسلة الإخشيد مع الإمبراطور البيزنطى ما ورد فى مقال كانار المسمى :

Une lettre de Mohammad ibn Tugj al-Ihsid emir d'Egypte à l'empereur Romain Lécapène in Annales de l'institut d'etudes Orientales 11 (1936), pp. 198 - 200.

ومما يسترعى الاهتمام ما جاء فى ص ٢٨٥ — ٢٩٣ من هذا المؤلف عن الآثار ، وما جاء فى ص ٢٩٤ — ٢٩٩ من الحقائق التاريخية عن النقوش والكتابات ذات القيمة التاريخية .

وموجز القول أن هذا المؤلف الجديد للدكتورة سيدة كاشف جدير بكل تقدير وبأن يحتل المكانة الرفيعة اللائقة به ، وحبذا لو توّجت المؤلفة جهدها المشكور بإعادة نشر المرجع الأساسى الذى جعلت جل اعتمادها عليه ونعنى به كتاب المغرب لابن سعيد .

(ترجمة : أحمد حلمى على)

أدولف جروهمان